7- التحولات السياسية وبناء الدولة القومية الحديثة بأوروبا

في عام 1453، حدثت حرب المئة عام بين فرنسا وإنجلترا، وخلفت وراءها حركة قومية انتشرت بين الدولتين، ومن ثم انتشرت تلك الحركة بين جميع الدول، وفي النصف الثاني من القرن الخامس ميلادي في عام 1466 ميلادي، وانضمت بروسيا الغربية إلى بولونيا، وتم تحرير روسيا من الاستعمار الروسي في عام 1480 ميلادي، وفي عام 1493، تحررت أسباني من يد العرب، وظهرت في الساحة الأوروبية كدولة قوية ومستقرة وذات سيادة.

وفي النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي، ظهرت حركة إصلاحية في ألمانيا؛ ممّا جعل من ألمانيا أن تلعب دوراً مهماً في التاريخ، وكما قد قام في إيطاليا نهضة ثقافية كبيرة، رغم أن إيطاليا كانت فاقدة للوحدة السياسية، وفي ذلك تم تشكيل في أوروبا دول قومية عديدة، وظهرت فكرة التعدد في أوروبا بدلاً من الوحدة، التي من الصعب تحقيقها في أوروبا.

إن القومية في أوروبا هي هوية متكاملة صنعت المواطن من خلال الحقوق والواجبات ضمن تطور مفهوم الدولة الحديثة والانتقال من الدولة في العصور الوسطى، و وكل قومية في أوروبا شكلت دولة بمسار معين وكان هناك أثر للحروب على ذلك، وفي القرن الثامن عشر لم يكن هناك قومية عند الأوروبيين الموجودين في النظم الملكية، بجانب أنه لم يكن هناك هوية جامعة، لذلك كانت السيطرة تتم من الملك أو الأمير والنبلاء والإقطاعيين بجانب أن الآخرون هم العبيد المقموعين، ولم يكن هناك مصلحة للمزارع الذي يعمل بالأرض الزراعية مع الدولة، لأن النسب كانت تذهب للنظام الملكي بجانب تراكم الديون من جهةٍ أخرى.

وبذلك شهدت بداية العصر الحديث ظهور كيانات سياسية جديدة وخطوات نحو التكامل بين كيانات قائمة، لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوربية. وقد تبنت الشعوب الأوربية مبدأ القومية واعتبرته هدفاً وغاية نحو بناء الدولة القومية على أساس فلسفة الأمة التي تستند الى أشتراك أبنائها بروابط اللغة والتاريخ والشعور المشترك. فكان ظهور الدولة القومية كقوة تقابل وتصارع النظام الاقطاعي والكنيسة والى الحد الذي أصبحت بديلاً عنها وتشكل مظهراً من مظاهر بلورة الفكرة القومية عند الشعوب الأوربية. واخذت هذه المظاهر حركة الانبعاث في عصر النهضة وقيام الإمبراطوريات الأوربية واصبحت الدولة والكيان السياسي يضم قوميات عديدة تخضع لسيادة دولة واحد.

الثورة الفرنسة:

تعدُّ الثورة الفرنسية التي قامت في فرنسا ما بينَ عام 1789 واستمرَّت حتّى عام 1799 فترةُ اضطرابات كبيرة جدًّا سياسيّة واجتماعية واسعة كان لها تأثير كبير في فرنسا، وقد تعدّى تأثيرها الإطار المحليّ فامتدَّت تأثيرات الثورة الفرنسية إلى أوروبّا خصوصًا وإلى العالم الغربيّ بشكلٍ عامّ، فقد كانت الحكومة الفرنسية غارقة في الديون نتيجةَ الحروب ففرضَت الضرائب على الشعب، إضافة إلى الفقر والجوع ورغبة الناس في التخلص من الحكم المطلق والاستياء من امتيازات النبلاء والإقطاعيين وتدخل الكنيسة في الدولة والتطلُّع إلى الحريات الدينية والمساواة والعدالة، كل ذلك أدى لقيام الثورة الفرنسية، ورغم كلّ الفوضى والاضطرابات التي حَصدت آلاف الأرواح في الثورة الفرنسية إلا أنها حقَّقت الكثير من النتائج الهامة على الصعيد المحلي والإقليميّ والعالميّ، فكانت الثورة الفرنسية أيقونة لكلّ الحركات الثورية التي حدثت فيما بعد في العصر الحديث، وأصبحت شعاراتها شعارات عالمية وعملت أيضًا على الإسراع بظهور الجمهوريات والديمقراطيات في العالم، وساهمت بانتشار القومية والاشتراكية والليبرالية ومناصرة المرأة والعلمانية وغير ذلك

-النتائج الاجتماعيّة: عملتِ الثورة الفرنسيّة على إلغاء حقوق الإقطاع وألغت الامتيازات التي كانت ممنوحة للنبلاء ورجال الدين، كما صادرت جميع أملاك الكنيسة، وفيما بعد أعلنت أن التعليم أصبح مجانيًّا وإجباريًّا في فرنسا، وعملت على تحقيق العدالة الاجتماعية ووحدت اللغة الفرنسية وعممتها.

-النتائج السياسيّة: إقامة النظام الجمهوري عوضًا عن النظام الملكي المطلق، وتمَّ إقرار فصل الدين عن الدولة ورفع مبادئ المساواة وحرية التعبير.

-النتائج الاقتصاديّة: قضَت الثورة على النظام الإقطاعيّ القديم، وفتحت المجالات لتطوير النظام الرأسمالي العالمي، وحررت النظام الاقتصادي من مراقبة الدولة.

8- الثورة الصناعية:

تمثل الثورة الصناعية نقطة تحول رئيسية في التاريخ، و بلغ تأثيرها تقريبا كل جانب من جوانب الحياة اليومية قد أثرت بشكل ما. وأبرزها، تأثيرها على متوسط الدخل وعدد السكان بشكل دائم لم يسبق له مثيل. في قرنين من الزمان بعد 1800، في ازداد متوسط دخل الفرد في العالم أكثر من عشرة أضعاف، بينما ازداد عدد سكان العالم أكثر من ستة أضعاف.

قدمت بريطانيا العظمى الأسس القانونية والثقافية التي مكنت أصحاب المشاريع لتقلد ريادة الثورة الصناعية تبدأ في الجزء الأخير من القرن 18، وهناك بدأ التحول في أجزاء من بريطانيا العظمى حيث العمالة اليدوية المرتبطة باستخدام الحيوانات إلى الاقتصاد القائم على استخدام الآلة القائم والتصنيع، بدأ ذلك مع مكننة صناعات الغزل والنسيج، وتطوير تقنيات تصنيع الحديد وزيادة استخدام الفحم وقد أمكن التوسع في التجارة من خلال شق الطرق وخطوط السكك الحديدية

ويمكن تعريف الثورة الصناعية على أنها عملية التغيير السريع الذي شهدته أوروبا منذ أواخر القرن الثامن عشر، حيث شهدت أوروبا نهضة حديثة في مختلف مجالات العلوم من خلال القيام بالأبحاث العلمية واختراع آلات تزيد الإنتاج وتقتصر الوقت، وكان ذلك السبب المباشر الذي دفع المجتمع للانتقال من الزراعة والحرف اليدوية إلى الصناعة المعتمدة على الآلات.

ومن اهم نتائج الثورة الصناعية:

- تشييد المصانع الكبرى- النزوح من الأرياف إلى المدن- نمو التجارة الداخلية والخارجية- تنوع المشاريع- زيادة النزعات الاحتكارية -زيادة كمية الإنتاج وتحسين نوعيته- تحسن نوعية المعيشة وظهور الفوارق الطبقية-ظهور النقابات- انتعاش الأحزاب

III- ظهور الصحافة في أوربا

وشكلت الرسائل الإخبارية المنسوخة، أو المخطوطة باليد، المظاهر الأولى للصحافة الأوروبية، خلال القرن الرابع عشر، في إيطاليا ثم في إنجلترا وألمانيا وكان يكتبها تجار الأخبار تلبية لرغبة بعض الشخصيات الغنية، ذات النفوذ الكبير، والمتعطشة إلى معرفة أهم أحداث العالم. وكان لهؤلاء التجار، مكاتب إخبارية جيدة التنظيم، ظلت تعمل لحسابهم، خلال القرن الخامس عشر، وجزء من القرن السادس عشر، وكان يوجد، في مدينة البندقية، مكاتب كثيرة من هذا النوع. وكذلك في سائر العواصم الأوروبية، وكان تاجر الأخبار يستأجر العبيد، الذين يعرفون الكتابة، أو يشتريهم، ويملي عليهم ما جمعه، من أخبار، ليدونوها، ويعدوها للبيع والتوزيع على المشتركين، وخاصة رسائل الأخبار العامة، التي كانت تختلف عن رسائل المعلومات الخاصة الموجهة لكبار رجال السياسة والاقتصاد.

1- الصحافة الفرنسية:

تعد فرنسا أول دولة أصدرت صحيفة رسمية في تاريخ الصحافة المكتوبة عندما قام Théophraste Renaudo بإصدار أوّل أسبوعية فرنسية (La Gazette de France) وضمت هذه الأخيرة في بداياتها 4 صفحات فقط على مقاس 23 سم وُزعَ منها ما يقارب 300 الى 800 نسخة أسبوعيا لتتطور بشكل فارق انطلاقا من سنة 1638 اذ ارتفع عدد سحبها الى 1200 نسخة و عدد صفحاتها الى 12 صفحة.

وكانت لا تنشر المقالات بل أخبارا من كل لون، الداخلية منها و الخارجية، بأسلوب مختصر و مقتضب على شاكلة الأخبار الموجزة التي تنشرها اليوميات في عصرنا الحالي، و حذت معظم دول أوروبا حذو فرنسا فأنشأت صحفا رسمية.

ولعل من أبرز العوامل التي ساهمت بشكل جليّ في ميلاد الصحافة الدوريّة آنذاك ظهور احتياجات جديدة لأنواع حديثة من المعلومات و التي يمكن القول بأنها جاءت نتيجة لمخرجات عصر النهضة و الاصلاح و الاكتشافات الضخمة في المجال الصناعي الذي عرفته فرنسا فضلا عن الصراعات الكبيرة التي كان جيشُ هذه الأخيرة طرفا فيها، هذا من جهة، من جهة أخرى كان لاختراع آلة الطباعة الحديثة على يد الألماني Johannes Gutenberg سنة 1438 النزر الوفير من الفضل في رواج هذه الصحافة فيما بعد والذي خلق فرصة الحصول على أكثر من نسخة للنص الواحد دون اعادة كتابتها يدويا، و أخيرا انشاء أماكن خاصة للبيع جعلت من القابلية تقديم و توصيل الصحيفة للقراء.